

(الجزء من جنس العمل)

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة نجا عليها ونموت ونبعث يوم القيامة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، اللهم صل عليه في الأولين والآخرين: أما بعد:

فقد قررت آيات القرآن الحكيم وأحاديث السنة المطهرة أن الجزء من جنس العمل، سواء كان هذا العمل عمل الخير أو عمل الشر، فالجزء من جنس العمل في "الإحسان والإساءة"؛ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: 46].

قال ابن القيم: (دل الكتاب والسنة في أكثر من مائة موضع على أن الجزء من جنس العمل في الخير والشر؛ كما قال تعالى: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ [النبا: 26]؛ أي: وفق أعمالهم).

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124-126].

فما هي مظاهر هذه القاعدة الحكيمة:

1-الجزء من جنس العمل في "الإحسان إلى الناس": (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ). [أبو داود]، ومن أحسن إلى الخلق أحسن الله إليه، ومن أعان عباد الله أعانه الله في الدنيا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ. وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ). [صحيح مسلم]

2-الجزء من جنس العمل في "إيذاء الناس": (فَمَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ) [سنن الترمذي].

3-الجزء من جنس العمل في "الدِّفاع عن المسلمين ورد غيبتهم": (فَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نَصْرَتَهُ. وَمَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [مسند أحمد].

4-الجزء من جنس العمل في "الإنفاق والبذل": ففي الحديث: (وَمَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا

تَلَفًا [البخاري]. وكذلك من عمر الله بيتا في الدنيا أكرمهم الله ببيت في الآخرة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) [سنن الترمذي].

5-الجزء من جنس العمل في "تعليم الناس الخير وكتمان العلم"؛ فمن علم أحدا من الناس علما أو أرشده إلى خيرٍ أو كان سببا في هدايته يكون سببا في محبة أهل السموات والأرض له، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الثَّمَلَةُ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحَوْتَ؛ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ) [سنن الترمذي].

والجزء من جنس العمل في "طلب العلم"؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتَها رِضا لَطالِبِ الْعِلْمِ) [صحيح مسلم].

6-الجزء من جنس العمل في "ارتكاب الكبائر التي يُجَازَى أصحابُها يوم القيامة"؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد وصف بعض ما رآه من أهل النار ممن كانوا يرتكبون الفواحش ويقعون في المعاصي: (أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أُتِيَتْ عَلَيْهِ يَنْلَعُ (أي: يشدخ) رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أُتِيَتْ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ، فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أُتِيَتْ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ، وَيُلْقِمُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ أَكَلَ الرِّبَا) [صحيح البخاري].

7-الجزء من جنس العمل في التماس رضا الله والتواضع للخلق؛ كما قال رسول الله: (فَمَنْ التَّمَسَّ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤَنَّةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ). [الترمذي].

والجزء من جنس العمل في أداء أموال الخلق وعدم المماطلة بها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَمَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ) [صحيح البخاري].

حتى التواضع للخلق يكون سببا في رفعة الله للعبد، كما قال المصطفى: (وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) [مسلم].



أما المتكبرون الذين يترفعون على الناس فجزاؤهم يوم القيامة أن يحشروا في أحقر وأذل صورة أمام الخلق، فيكون جزاؤهم من جنس عملهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ مِنْ جَهَنَّمَ يُسَمَّى: بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، وَيُسْقَوْنَ مِنْ عُصَاةِ أَهْلِ النَّارِ، طِينَةَ الْحَبَالِ) [الترمذي]؛ فإنهم لما أذلوا عباد الله؛ أذلهم الله تعالى.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
كتبه: فضيلة الشيخ/ عمرو يوسف الجندي - مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.